

تاريخ القبول: 2021/12/02

تاريخ الإرسال: 2020/09/29

تاريخ النشر: 2022/03/17

تدريس البلاغة في المؤسسات التعليمية -الواقع والمأمول- Teach rhetoric in educational institutions between - reality and hope -

د. سليمة عياض

وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر - وحدة البحث ورقلة- الجزائر
aiad.s70@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا المقال لدراسة الإشكاليات التي تطرحها عملية تدريس البلاغة في مؤسساتنا التعليمية في المراحل التعليمية المختلفة، وما يواجه هذه العملية من صعوبات انعكست سلبا على نتائج التحصيل العلمي لهذه المادة. وقصد التمثيل والتوضيح فقد اخترنا بعض الإشكاليات المطروحة ومن أهمها سلوك الطريقة الجدلية في عرض دروس البلاغة، والبعد عن النصوص الخصبة، وإهمال الربط بين الوحدات أو بين عناصر الوحدة الواحدة وغيرها من الإشكاليات، ليتم بعدها اقتراح الحلول المناسبة بهدف التقليل من حدتها؛ وذلك بالوقوف على أهم المقاربات التعليمية التي توصل إليها المختصون في هذا المجال، وبخاصة تلك المقاربات التي تعزو وظيفة البلاغة وأهميتها إلى ارتباطها بالنص الأدبي. بالإضافة إلى اقتراح حلول أخرى أهمها: اعتماد النظرة الشمولية في معالجة النصوص الأدبية، والاستفادة من بلاغة العامية في تدريس بلاغة الفصحى، وكذا توثيق العلاقة بين البلاغة وبين بقية فروع علم اللغة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التدريس، الصعوبات، الحلول، المقاربات، النص الأدبي.

Abstract:

This article aims to respond to the problem of rhetorical teaching in our institutions which poses difficulties causing negative results on the level of education.

In order to represent and clarify, we have chosen some of these problems to be solved, the most important of which is the behavior of the dialectical method in the presentation of the lessons of rhetoric, also the removal of fruitful texts, and neglecting the link between the units or between the elements of the same unit and others, and finally to propose adapted solutions; where it will stand Find the most important pedagogical approaches concluded by specialists in this field, in particular the approaches that attributes the function and importance of rhetoric related to the literary text.

Key words: rhetoric, teaching, difficulties, solutions, approaches, literary text

المؤلف المرسل: سليمة عياض، الإيميل: AIAD.S70@GMAIL.COM

1. مقدمة

يسعى هذا المقال لدراسة الإشكاليات التي تطرحها عملية تدريس البلاغة في مؤسساتنا التعليمية، وما يواجه هذه العملية من صعوبات انعكست سلباً على نتائج التحصيل العلمي لهذه المادة. وقصد التمثيل والتوضيح فقد اخترنا بعض الإشكاليات المطروحة ومن أهمها: سلوك الطريقة الجدلية في عرض دروس البلاغة، البعد عن النصوص الخصبية، إهمال الربط بين الوحدات أو بين عناصر الوحدة الواحدة وغيرها من الإشكاليات، ليتّم بعدها اقتراح الحلول المناسبة لها؛ حيث سنقف على أهم

المقاربات التعليمية التي توصل إليها المختصون في هذا المجال، وبخاصة تلك المقاربات التي تعزو وظيفة البلاغة و أهميتها إلى ارتباطها بالنص الأدبي؛ وذلك لأنّ البلاغة وما فيها من جمال، وبيان، وتصوير فني لا تعيش خارج النص الأدبي ولا تتنفس إلّا بداخله. وإذ نؤكد على هذا المعنى فذلك حتى لا تتحول الموضوعات البلاغية المقرّرة في المراحل التعليمية المختلفة إلى مجرد قواعد جافّة، أو مباحث نظرية، وتعريفات منطقية لا علاقة لها بالاستعمالات اللغوية المختلفة، كما ينبغي أن تكون منطلقاً للوضعيات اللغوية المختلفة التي يجابهها المتعلم، وتثير لديه إشكالات يترتب عليها بناء معارفه البلاغية على قاعدة صلبة. واستعنا في هذه الدراسة بالمنهج الوصفي الذي يقوم على تتبع هذه الظاهرة ، ووصفها ثم تحليلها، واقتراح الحلول المناسبة في هذا الموضوع.

2. مفهوم البلاغة

1.2 البلاغة لغة

البلاغة لغة: حسن البيان وقوة التأثير، وهي مأخوذة من بلغ أي: وصل، وتعني الوصول والانتهاء إلى الشيء⁵، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (الكهف 93)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْفِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطارق 3)

2.2 البلاغة اصطلاحاً

-عرفها الآمدي بأنها: "إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد عن الحاجة ، ولا تنقص نقصاناً دون الغاية"¹.
-وعرفها الخطيب القزويني بقوله: "إن البلاغة تقع صفة للكلام وللمتكلم، فأما بلاغة الكلام فهي: مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها. وأما بلاغة المتكلم فهي: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ".⁹

3. أهمية البلاغة

تتضح أهمية البلاغة في كونها:

- تعين على فهم معاني القرآن الكريم الذي هو أساس البلاغة، ومعرفة أسرارها.
- تمكّن مستعمل اللغة العربية من تمييز الكلام الجيد من الرديء.
- تمكّن مستعمل اللغة من اختيار الكلام المناسب لكل موقف.
- تنمّي لدى الناقد القدرة على نقد النصوص الأدبية.
- تساعد الموهوبين على إنتاج أدب راق.

4. تدريس البلاغة بين القديم والحديث

ظهر في هذا العصر اتجاهان في تدريس البلاغة، لكلّ منهما ميزاته وخصائصه، وهذان الاتجاهان هما المدرسة القديمة، والمدرسة الحديثة.

1.4 المدرسة القديمة: من سماتها وخصائصها²:

- تمزيق وحدة البلاغة وذلك بجعلها علوما ثلاثة "المعاني والبيان والبديع".
- الاهتمام بالدراسات النظرية؛ ممّا أدى إلى طغيانها على الموازنات وتحليلات النصوص الأدبية، وترتّب على ذلك إخفاق في تكوين الذوق الأدبي، وقصور عن كشف مناحي الجمال وبيان أسرارها.
- تدريس البلاغة في عزلة عن الأدب ممّا أدى إلى تلبّد الأذواق وتجميد المواهب⁸.

2.4 المدرسة الحديثة

من سماتها وخصائصها⁸:

- وحدة البلاغة بعلمومها الثلاثة وحدة متكاملة، ليس بينها فواصل بل تكمل بعضها البعض.
- جعلت البلاغة جزءا من الدراسات الأدبية التي يتيحها النص الأدبي، وبذلك قضت على العزلة التي فرقت بينهما.

-التركيز على التقاسيم والتعاريف بدل المصطلحات.

-الاهتمام بالنواحي النفسية والوجدانية، وذلك عند الحديث عن الجو النفسي، والفكرة والنص، وعن عاطفة الأديب، وموسيقى الكلام¹¹.

وقد ضمَّ المحدثون علوم البلاغة تحت اسم (الأسلوب أو الصورة) غير مُغفلين سمات كل تشكيل بلاغي، ولكنهم أبرزوا هذه السمات من خلال العمل المتكامل، والنظرة الشمولية والجمالية والاجتماعية، وهم في ذلك يعودون إلى المدرسة الذوقية في تاريخ البلاغة العربية، ومن بين روادها: الجاحظ، وأبو هلال العسكري، وقدامة بن جعفر⁶.

وبعد ذلك أخذت بحوث البلاغة الجديدة تنمو منذ نهاية عقد الخمسينات حتى الآن عبر ثلاث بيئات، وإن كانت متباينة في أهدافها وبرامجها، وتختلف من حيث منظورها وأدواتها المنهجية، وهي البيئة الجامعية، بيئة المستشرقين، وبيئة الأزهري. ورغم ما نلمسه من تجديد في طريقة تدريس البلاغة، إلا أنَّ النتائج المتحصل عليها ما تزال دون المستوى المراد تحقيقه، وذلك لما يواجهه تدريس هذه المادة من صعوبات، بعضها يتعلَّق بالمحتوى مادة وعرضا، وبعضها يتعلَّق بالمعلم، وبعضها يتعلَّق بالمتعلم، فما هي أهم هذه الصعوبات؟

5. صعوبات تعيق عملية تدريس البلاغة

يمكن عدّ مجموعة من الصعوبات تقف عائقاً دون تحقيق نتائج إيجابية في تدريس البلاغة أهمّها:

-الوقت المخصَّص لدروس البلاغة غير كاف، وقد يستهلكه المعلم في الجانب النظري الجافّ، على حساب الجانب التطبيقي، الذي يجب أن يخصص له النصيب الأكبر.

-سلوك الطريقة الجدلية في عرض دروس البلاغة، وهي طريقة تمزق أوصال العبارات وتشوّه جمالها، وتحوّل النقاشات إلى الجانب الفلسفي النظري، وتجعل القواعد البلاغية ومصطلحاتها الفنية كأنها الغاية المقصودة لذاتها. وكذلك الإسراف في استعمال المصطلحات والتقاسيم التي لا جدوى منها في تكوين الذوق الأدبي، ولذلك وجب عرضها من حيث أنها وسائل تعمل على تكوين الذوق الأدبي، لا قواعد ومباحث يختبر فيها العقل¹³.

- البعد عن النصوص الخصبة، واللجوء إلى الأمثلة المقتضبة المصنوعة، للتخفيف من معالجة النصوص، قصد الوصول بسرعة إلى تحديد الألوان البلاغية¹³.

-التركيز على بعض النصوص الشعرية، وإهمال الفنون الأخرى.

-عدم التعرض للاتجاهات الأدبية السائدة، والمدارس الفنية وخصائصها، وتنمية مهارات النقد والتذوق الأدبي¹⁸.

-الاعتماد في معظم الأحيان على أمثلة الكتاب، والتي غالبا ما تكون مكررة ومأخوذة من كتب بلاغية أخرى، وهذا ما يعيق الطالب في اكتشاف جمال العبارة، وتكوين ملكة التذوق الخاصة به⁴.

-إهمال الربط بين الوحدات، أو بين عناصر الوحدة الواحدة، فالعناصر التي تتنقّ في أهدافها وتتقارب مثل: الجنس، والتورية، والازدواج يجب أن توضع تحت مسمّى واحد، أو وحدة واحدة، وكذا الأمر، والنهي، والاستفهام باعتبارها أساليب طلبية، والاستعارة، والكناية، والمجاز باعتبارها صورا تجاوزت عباراتها الحقيقة إلى المجاز.

-تركيز المحتوى على الجانب النظري وإهمال الجانب التطبيقي، ويُعد المحتوى عن واقع التلاميذ وبيئتهم، وعدم مساهمته لمتطلّبات العصر².

-عدم استخدام السبورة الإضافية، أو الوسائل التعليمية الحديثة المعينة على تقديم الدرس بطريقة يتفاعل فيها المعلّم مع المتعلّم، ويشعر فيها المتعلّم بالحرية التي

تتعرض إيجاباً على فهمه، واستيعابه للمعلومات الجديدة التي يتلقاها.

- أن يظن المعلم عجز الطلاب عن المشاركة في تناول النص، فيحرمهم المشاركة ويحول بينهم وبين إظهار شخصيتهم الفنية.

- ضعف الإعداد الأكاديمي لبعض المعلمين، وعدم اطلاعهم على بعض مهارات التدقيق الأدبي والبلاغي.

- اعتماد أسئلة في التقييم تعتمد على الحفظ والاستظهار، وإغفال الأسئلة التي تعتمد على المهارات العليا للتفكير، مثل التحليل، والتركيب، والنقد، والموازنة.

وللتخفيف من حدة هذه الصعوبات نقترح أسساً لتدريس البلاغة، تعين المعلم على تقديم مادته بطريقة تمكنه من الوصول إلى الأهداف المراد تحقيقها.

6. أسس تدريس البلاغة العربية

البلاغة فنّ أدبي ينمي الذوق ويذكي الحس، وليست من العلوم التي تشدّد الفكر أو تصقل العقل، كما هو الشأن بالنسبة لعلوم أخرى. فالطابع الغالب عليها هو الطابع الفني الوجداني، ومن هنا كانت صلتها بالأدب صلة وثيقة بالنسب؛ وعليه فقد وجب على المعلمين حين يعرضون النص الأدبي لتحديد ما فيه من ألوان بلاغية، أن يتجهوا اتجاهها خالصاً لا تشوّهه البحوث العقلية، فيقوموا النص الأدبي من حيث الفكرة والعبارة، ويقدرُوا حظ الأديب من المهارة الفنية، ولا يستهلكوا الوقت والجهد في استنباط التعاريف، وتحديد اللون البلاغي وتسميته بالاسم الاصطلاحي، دون التعرض لكشف أسرار الجمال، فهذا المسلك لا يجدي في تكوين الذوق الأدبي، ويحبس البلاغة في دائرة المنهج الفلسفي العلمي، الذي لا يتناسب مع طبيعتها الفنية⁴. وعليه فإنّ النجاح في تدريس البلاغة يمرّ عبر الخطوات التالية²:

1.6 تدريس البلاغة في ظل النصوص الأدبية: وذلك للارتباط الوثيق بينهما،

وسعي كل منهما إلى تكوين الذوق الأدبي عند المتعلمين، والبلاغة لا تحيي خارج

النص الأدبي، فإن حاولت فصلها عنه فقدت روحها، وبدت جافة لا جمال فيها.

2.6 النظرة الشمولية في معالجة النصوص الأدبية: كما أصبح ضروريا تبني النظرة الشمولية في معالجة الأعمال الأدبية، بدل النظرة الجزئية، وتجاوز الدوائر الضيقة كاللفظ والجملة، إلى دائرة تتسع إلى للصورة، والفقرة، والقطعة، والمقالة، والقصيدة، وذلك بتدريب الطلبة على النظرة الشمولية للنص الأدبي، والتأمل في جميع العناصر لإبراز الجمال الفني لتلك الصورة³.

3.6 الاستفادة من بلاغة العامية في تعليم بلاغة الفصحى: إن البلاغة تُدرك من خلال الأحاديث الجميلة، والكلمات المعبرة التي تجري على ألسنة الناس، ولا نقصد الفئة المثقفة وحدها، بل يتعدى هذا السلوك اللغوي تلك الفئة المثقفة إلى فئة العوام، الذين يتذوقون جمال الكلمة، وبراعة الأسلوب بفطرتهم الإنسانية، فيلقون حكما وأمثالا، لو سيقّت في طابعها الفصيح لكانت غاية في البلاغة، وقمة في جمال الأسلوب و المعنى¹⁹.

وبالبلاغة فطرية في الكلام العادي، والاستعمالات البلاغية ليست مقصورة على لغة الأدب، بل تتجاوز الأدب إلى الكلام العامي، مثل قول العامة: "القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود" الذي يحتوي على طباق إيجابي بين أبيض وأسود، وكثيرا من الصور البلاغية كالتشبيه، أو الكناية، أو الجناس. وغير ذلك من صور نجدها في التراكيب العامية تصلح للتمهيد بها لدرس البلاغة، فيشعر الطالب بأنه يدرس شيئا مألوفاً لديه نصله ونهذه¹¹.

4.6. التدريب البلاغي: لا تحقق دروس البلاغة الغرض منها إلا إذا تمرّن الطالب تمرنا كافيا شفويا، أو تحريريا عقب انتهاء الدرس مباشرة، وينبغي أن يحرص كل معلّم على تحقيق هذه الخطوة من خطوات دروس البلاغة، بحيث لا ننهي الحصة قبل التمرينات البلاغية، والأسئلة التي تعزّز فهم الطالب، ويأخذ التدريب الشفوي عدّة

طرق منها: قراءة موضوعات من النقد الأدبي للأقدمين تارة، وللمعاصرين تارة أخرى... والاعتماد على التلاميذ لتجلية ما في النص من ظواهر بلاغية، وتدخل الأستاذ يكون فقط للتوجيه من أجل مساعدتهم على تذوق النصوص الأدبية، واستخراج ما فيها من جمال شكلا ومضمونا.⁷

5.6 العلاقة بين البلاغة وبين بقية فروع اللغة العربية: هناك علاقة وثيقة تربط بين اللغة والأدب، من حيث أنهما يهدفان إلى تكوين الذوق الأدبي، والوسيلة في ذلك هي النص الأدبي؛ ولذلك فإنه يجب على المعلم أن يقف مع طلابه في حصة يخصصها لتأكيد، ما تجمع لديهم من الفنون البلاغية في الدروس السابقة، فيشرح المصطلحات ويفرق بين الأنواع. ولا ننتهي من درس البلاغة فعليا في حصة واحدة، وإنما قد تعترضنا في القراءة، والتعبير، والإملاء وكذلك الخط...؛ وما القراءة إلا قطع منتقاة صالحة لإنماء الذوق وإرهاق الحس. والإملاء تمد الطالب بعبارات تستشرف نفسه العثور على أسرارها، فلا يحرمه المدرس من ذلك. وكما نجد نماذج الخط مأثورة يحفظها الطلاب إعجابا بها؛ لأنها من القلائل، وهي مصنوعة بعناية تلفت الطالب إلى جمالها. أما التعبير فهو درس تطبيقي يحاول فيه الطالب التألق برصيده اللغوي والفكري في إطار محكم، فضلا عن جماعات النشاط المدرسي وما تعج به من مناشط، تفسح للطالب مجال الممارسة اللغوية والإبداع البلاغي، كجماعات الخطابة، والصحافة، والإذاعة، وبهذا لا يكون الدرس البلاغي حكرا على فرع بعينه، أو محصورا في حصة بذاتها¹⁵.

6.6 التنبيه على علاقة البلاغة بالبحوث النفسية كلما أمكن: لقد أدرك هذه العلاقة كثير من البلاغيين القدامى، أمثال: الجرجاني الذي اعتنى بالإشارة إليها، والكشف عنها في وقفاته البلاغية، ومن ذلك مراعاة حال المخاطب ونفسية السامع عند إلقاء الخبر، فإما أن يكون مؤكداً، وإما أن يكون غير مؤكد أي: بغير أداة التوكيد، مراعاة

في ذلك لحال المخاطب، من حيث خلو ذهن، أو التشكيك، أو الإنكار. وكذلك أساليب القصر، وأساليب الإيجاز والإطناب. وقد اهتمت البلاغة الحديثة بالجوانب النفسية التي تعنى بالموسيقى في الآداب، وأثارها في النفس، كما تعنى بتحليل الجو النفسي للأديب في تشبيهاته، واستعاراته، وطرق استهوائه للمخاطبين⁸.

7. طريقة تدريس البلاغة: لا توجد طريقة مثلى لتدريس البلاغة، فالمعلم هو سيد الموقف في كل الأحوال، يختار ما يراه مناسباً لطلابه، حسب ما يقتضيه الموقف التدريسي، ولكن هناك من المعلمين من يختار الطريقة الاستقرائية في تدريسه للبلاغة، شأنها في ذلك شأن تدريس النحو أو الإملاء، حيث يقوم المعلم بعرض الأمثلة، ثم يناقش، وبعد ذلك يستقرئ القاعدة من أفواه التلاميذ. ومنهم من يستخدم الطريقة القياسية، على النقيض من ذلك حيث يقوم بعرض القاعدة أولاً، ثم تقاس عليها أمثلة تخضع للقاعدة. ومنهم من يجمع بين الطريقتين، وللمعلم حق التصرف في ذلك حسب ما تقتضيه طبيعة كل درس.

ولكن اقترح بعض الخبراء في المناهج، وطرق التدريس مجموعة من الخطوات تمكن المعلم من تسيير درس البلاغة بطريقة أفضل وهي كالآتي²:

1.7 التمهيد

وفي هذه المرحلة يجب على المعلم أن يمهد لموضوع الدرس، وذلك بإثارة الطلاب، وتشويقهم من خلال مناقشة هادفة، أو تشجيعهم على عرض بعض الصور البلاغية العامة، ذات العلاقة بالدرس الجديد. وتتمثل الخطوة الأولى لتقديم درس في البلاغة في إعداد المعلم قبل الحصة نصوصاً أدبية، يتخذها محورا لدرسه، فيأتي المعلم بالنص الأدبي، أو القطعة الأدبية مكتوبة في بطاقات، توزع على التلاميذ، أو تكتب على سبورة إضافية بخط جميل، ثم تُقرأ النصوص، وتشرح شرحاً وافياً، بالتعرض للمفردات الصعبة وتوضيح العبارات الغامضة¹².

2.7 العرض

وفي هذه المرحلة يعرض المعلم النص الأدبي، أو القطعة الأدبية، أو الأمثلة والشواهد البلاغية التي تبدو فيها الألوان البلاغية واضحة، ويُقرأ من طرف المعلم قراءة يتقمص فيها شخصية الكاتب، مراعيًا في ذلك الهدوء في موضع الهدوء، والغضب في موضع الغضب، وكذا التساؤل، والتعجب، والاستغراب، والتحضيض، كلٌّ في موضعه كما يصدر عن صاحبه-أي صاحب النص-مباشرة، ثم يتبعه في القراءة التلاميذ المجيدون. ثم يقوم المدرس بمعالجة النص الأدبي معالجة أدبية، تهيء الأذهان، وتستثير الوجدان، وتبرز جوانب الجمال في هذا النص، ويساعد التلميذ بذلك على تكوين الذوق الأدبي لديه¹⁵. وفهم الطالب لأفكار الدرس البلاغي ومعانيه جيدًا يمكنه من تذوق الأسلوب البلاغي؛ لأن الفهم سبيل إلى التذوق¹⁶.

3.7 الربط والموازنة

وفي هذه المرحلة يلجأ المعلم إلى طرح الأسئلة على الطلاب، من أجل الوقوف على الجديد في الدرس البلاغي الذي قُدِّم، مستعينا بالربط بين الصور البلاغية الفصيحة التي جاءت في الدرس، ونظيراتها من العامية، والتي استعان بها المعلم مهدها بها لدرسه¹⁰.

4.7 استنباط القاعدة

وفي هذه المرحلة يجب على المعلم أن يستخلص القاعدة من أفواه التلاميذ، بعد التأكد من استيعاب الجميع للدرس، ويقوم المعلم بتنقيح القاعدة وصياغتها بأسلوب جميل وعبارات موجزة يسهل فهمها، وحفظها من طرف التلاميذ¹²

5.7 التطبيق

ومن أجل تثبيت القاعدة في أذهان التلاميذ، على المعلم أن يعدّ مجموعة من التدريبات البلاغية، تثير فضول التلاميذ، لاستخراج ما فيها من فنون البلاغة، في

ضوء ما قُدّم لهم أثناء الدرس، وبتكثيفها وتكرارها يتولّد لدى التلاميذ ملكة التدقّق، التي تعينهم على فهم النصوص الأدبية، والتعامل معها بصورة أصدق وأعمق¹⁷.

8. استراتيجيات حديثة في تدريس البلاغة

قام الخبراء والمختصون في مجال التعليمية بابتكار استراتيجيات جديدة في مجال التعليمية، يمكن الاستعانة بها في تعليمية البلاغة، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1.8 استراتيجية خرائط المفاهيم

أول من ذكر خرائط المفاهيم هو العالم "نوفاك" مع العالم "جوين" في كتابهما المعروف: "تعلم كيف تتعلم". وقد استخدمت خرائط المفاهيم في المجال التربوي كاستراتيجية تعليمية من قبل نوفاك، وجوين منذ أوائل الستينيات تحت اسم (منظومة المفاهيم) أو خرائط المفاهيم Concept Maps.

-التعريف الإجرائي لخرائط المفاهيم: المفهوم هو تصور عقلي مجرد، في شكل رمز أو كلمة، أو جملة يستخدم للدلالة على شكل شيء، أو موضوع، أو ظاهرة معينة. و عليه فإنّ خرائط المفاهيم بذلك هي أحد التطبيقات المهمة لنظرية أوزيل حول (التعلم ذو المعنى) حيث تمثل رسوما تخطيطية ثنائية البعد، تترتب فيها مفاهيم المادة الدراسية في صورة هرمية، بحيث تتدرج من المفاهيم الأكثر شمولية، والأقل خصوصية في قمة الهرم إلى المفاهيم الأقل شمولية، والأكثر خصوصية في قاعدة الهرم. وتحاط هذه المفاهيم بأطر ترتبط ببعضها، بأسهم مكتوب عليها نوع العلاقة 20. وبالاستعانة بهذه الإستراتيجية يمكن للمعلّم أن يوضح للمتعلمين المفاهيم الأساسية، والفرعية للبلاغة بطريقة أسهل في الفهم، وأكثر تأثيراً في نفوس المتعلمين. وهي أنسب الاستراتيجيات في التعليم، وخاصّة في تلك الدروس التي تحفل بالأصول والفروع؛ لأن الدراسات أثبتت أن الخلية العصبية تلتقط بسرعة ما يشبهها،

وتستدعيه بسهولة، تماماً كما يصف أحدهم عنواناً لمنزل أو يرسمه أسهما فأيهما أفضل؟ أكيد أن الطريقة الثانية أدقّ وأفضل، والاستعانة بخريطة للمفاهيم أسلوب نبوي علّمنا إياه رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك حينما تحدّث عن الإنسان وما يتجاذبه من أمل، وهوى وما ينتظره من أجل... فكانت هذه الطريقة أوقع في النفس، وأثبت في الذاكرة²¹.

2.8 استراتيجية التفكير الناقد

إنّ التعريف الإجرائي للتفكير الناقد: هو تفكير تأملي معقول يركز على ما يعتقد به، وهو فحص و تقويم للحلول المعروضة، من أجل إصدار حكم حول قيمة الشيء. كما يُعرف بأنه تفكير معقول يؤدي إلى استنتاجات وقرارات سليمة مبررة، أو مؤيدة بأدلة مقبولة. وهو تفكير تأملي يظهر فيه وعي تام لخطوات التفكير، التي يتم الوصول بها إلى الاستنتاجات والقرارات دون القفز إليها مباشرة.

إن التفكير الناقد يتضمن إثارة الأسئلة والتساؤلات وهي مهمة بالنسبة للمتعلم، حيث يتعود من خلالها على إثارة الأسئلة الممكنة والجادة حول ما يقابله من ظواهر علمية، فلا يسلم بكل ما قيل، ولا يقبل بكل ما هو موجود، وذلك من أجل التقدم في مجال العلم والمعرفة، وكذا الإبداع وتقديم الأفضل، إذ إن المجال المعرفي يبقى حياً ومتجدداً، طالما أنّ هناك أسئلة واستفسارات تثار حول مختلف الظواهر العلمية²².

إن ميزات التفكير الناقد التي يجب أن تحويها المادة التعليمية تبدأ أولاً بكتابة النص التعليمي بصورة مغايرة غير تلقينية، تظهر وجهات النظر المختلفة في الأدب والتاريخ والأخلاق، وتطرح سيرورة تطور العلم وتاريخه، فالعلم ليس مجموعة من الحقائق التي يحفظها الطالب، ولا يحق له أن ينتقدها بغية الوصول إلى ما هو أدقّ وأصوب. صحيح أن العلم يقوم على مجموعة من الحقائق والفرضيات التي لا بد من معرفتها واحترامها، لكن الأهم من ذلك هو التدقيق في علاقة هذه الحقائق

والفرضيات ببعضها البعض، والأهم من ذلك كله هو معرفة أثرها على حياة المتعلم، والإدراك بأنها ليست حقائق مطلقة، بل قابلة للتجاوز في ضوء التطور العلمي الهائل، فقدرة العلم على تصحيح نفسه بنفسه هي نقطة قوة لا يشاركه فيها مجال معرفي آخر ²².

والتفكير الناقد استراتيجية دقيقة تتعامل مع العقل وتخطب أعلى مستويات الفهم حسب تصنيف بلوم وهو مستوى : التقويم، لذا فالتعامل بالتفكير الناقد خطة طويلة المدى لا توتي ثمارها في حصص معدودات .. وهي الأكثر تأثيرا ورسوخا في نفس المتعلم؛ لأنه شحذ أقصى طاقاته فيها، وهي استراتيجية تفكير عميقة، على المعلم الذي يستعملها ويؤمن بأثرها أن يتصف بطول النفس فلا يستعجل الإجابات، وبالمرونة فيقبل رؤى الجميع ما لم تمس الثوابت. وستحدث هنا فقط على أهم مهارات التفكير الناقد التي يمكن تفعيلها في دروس البلاغة ²¹.

أولا/ التمييز بين الحقائق والآراء

يعمد صاحب الرأي المقدم من خلال الصورة البيانية إلى توثيقه بحقيقة موجودة ومسلّم بها، يستمد منها قوة حجته لإقناع المتلقي، وهذا الغالب على علم البيان، فالتشبيهات والاستعارات ربط رأي بحقيقة موجودة ومسلّم بها. المثل : من درس التشبيه الضمني قول الشاعر :

لا تنكري عطلَ الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للكان العالي

عند تقديم هذا المثل يسأل المعلم المتعلمين عن معنى البيت، ويطلب منهم تحليله تحليلًا لغويًا، ثم يسألهم عن علاقة الصدر بالعجز. وللإجابة عن هذه التساؤلات يجب أن يميّز المتعلم بين الحقيقة من الرأي في البيت السابق، وهي: "القمم الشواهد لا يركد فيها الماء ولا يأسن" ، وبين الرأي، وهو: "الكريم لا يستقر لديه المال" فهو أبعد غالبا عن الغنى ²¹.

ثانيا/تمييز الأفكار الرئيسية من الفرعية والظاهرة من الضمنية

قراءة الأسطر وما وراء الأسطر هي السبيل إلى فهم الشعر ومقاصده ، وتؤثر في هذا خبرة المعلم، وإعداده لمادة درسه جيدا بالعودة إلى المراجع، والمثال التالي مأخوذ من درس في المقابلة، وهو قول الشاعر:

يذكرني طلوعُ الشمس صخرا وأذكره لكل غروب شمس

بعد قيام المعلم بتحليل المعنى اللغوي للبيت والتقارب مع قائلته بمشاركة المتعلم في ذلك، يطرح الأسئلة التالية:

س1- هل البيت أقرب إلى المديح أم الرثاء ؟

س2- لم جاءت يذكّرني في الشطر الأول وأذكره في الشطر الثاني؟

س3- ما مدى تناسب حرف السين مع روح النص ،وكسره، وأحيانا بإضافته إلى ياء المتكلم؟ والإجابات تكون كالآتي:

ج 1: البيت أقرب إلى المديح فالخنساء تتحدث عن صخر وخصاله، وأهمّها أنّه شجاع، وتذكّر هذه الصفة عند خروج الفرسان للغارة مع طلوع الشمس. وهو كريم أيضا ، وتذكر كرمه حين ترى عابري السبيل والضيوف ليلا ²¹.

ج2- جاءت "يذكرني" في الشطر الأول لأن الشاعرة في سبات، وتوقظها أصوات استعداد الفرسان. و جاءت "أذكره" لأنها غارقة في العشي بالتفكير.

ج3 السين صوت شديد الخصوصية وأوقع وقت الحسرة مع الكسر ²¹.

ثالثا / دقة الحجج والحوار الإقناعي

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له : لا تبك عينك إنما حاول ملكا أو نموت فنعدرا

-بعد التحليل اللغوي، وتوضيح القصة، وخلفيات الحوار لامرئ القيس يطرح المعلم

التساؤلات الآتية:

ما حجة امرئ القيس ؟ هل الثمن مقنع للرحيل ؟

-لم جاءت: نحاول ؟ معا ؟

-لم جاءت بكى أولا ، ثم لا تبك عينك ؟

والإجابات تكون كالتالي:

-الحجة التي استعملها امرؤ القيس لإقناع صاحبه تتمثل في كون هذين الهدفين المقصودين وهما: الحصول على الملك أو الموت دون ذلك يستحقان الرحيل والتضحية في سبيلهما.

-قال: (نحاول) ولم يقل: (أحاول) حتى يدغدغ عواطف صاحبه، ويشعر بشدة القرب من امرئ القيس وأنّ لديهما هدفا مشتركا.

-جاءت (بكى) بصيغة الماضي للدلالة على أنّ هذا الفعل قد مضى ولن يعود ثانية ، وجاء (لا تبك) بصيغة الأمر للعين للدلالة على أنه واثق من تضامن قلب صاحبه، وفكره معه بالرحيل، فهو يحاور من خذلته وبكت وهي العين فقط، وأنّ صاحبه تجاوز مرحلة البكاء ويستعدّ لمواصلة المسير مع امرئ القيس لبلوغ الهدف²¹.

3.8 الكاريكاتير.. درس في البلاغة

يعتقد أغلب مدرّسي اللغة العربيّة والمُشرفين عليها، من مفتشي المادة، و واضعي المناهج التعليمية، أنّ تعليم اللغة العربية يركز بالدرجة الأولى على حفظ قواعد النحو، والصرف، والبلاغة، وقراءة نصوص بعينها، لكتاب وشعراء استُهلكت أسمائهم بكثرة. لكنّ الواقع الجديد وما يشهده من تطوّر على جميع المستويات يملّي علينا ضرورة مواكبته، والاستفادة من الوسائل المعرفيّة التي يزخر بها، وإضافة أسماء جديدة لمبدعين في شتّى الفنون¹⁶.

وفي هذا المجال، تصلح رسوم الكاريكاتير لتأثيث الكثير من الحصص التعليميّة العربية

لغة وثقافة، فلم يعد مقبولا اليوم أن يعرف طلابنا أبا الطيّب المتنبي الذي عاش في القرن الرابع، ويجهلون على سبيل الذكر لا الحصر، ناجي العلي، ومحمود كحيل اللذين أبدعا وأثرا في ميدان لا يقل أهمية عن الشعر¹⁶.

إنّ طلابنا بحاجة إلى معرفة شاملة تصل بين الماضي والحاضر، لتكوين إنسان عربي جديد يفخر بترائه وينهض بحاضره، من أجل مستقبل أفضل. وبلوغ هذا الهدف يحتاج إلى شجاعة كبيرة، ورؤية جديدة لدور المدرسة والمدرّس في مجتمعاتنا العربية، حتى ندرك ما وصلت إليه العملية التربوية في العالم، من تطوّر في الشكل والمضمون، وعلى مستوى النتائج من خلال العقول المبدعة، التي تفرزها المدارس والجامعات، فينتفع بها الناس في شتى المجالات¹⁶.

لقد مُنح المعلم في بلدان أخرى في العالم حرية المبادرة في اختيار ما يشاء من وسائل التعليم والإيضاح. فله أن ينطلق من صورة، أو رسم كاريكاتوري، أو مقطع من فيلم سينمائي، أو أغنية، أو مقتطف من خطاب سياسي، أو خبر مسموع، أو حتى إعلان تلفزيوني. فكلّها منطلقات لتعليم اللغات باعتبارها حيّة تتطوّر، وتحيط بنا في مختلف الأشكال التعبيرية، التي نسهم في إنتاجها ونشرها. ونظرا لغزارتها لا يمكن حصرها في الكتب المدرسية، العاجزة من ناحية أخرى، على استيعاب الوسائط المتعدّدة¹⁶.

ولذلك أصبح الاعتماد على الكتاب المدرسي في تعليم اللغة (وغيرها) ثانوياً. وللمعلم الأوروبي حرية مطلقة في استعماله، أو الاعتماد على وثائق أخرى، تزرخ بها شبكة الإنترنت، التي تحتوي اليوم آلاف المواقع المتخصصة في صناعة التعليم، بالإضافة إلى غرف الدردشة الموجهة للمعلّمين، ليتواصلوا في ما بينهم، ويتبادلوا التجارب والدروس التي أنجزوها في فصولهم.

ولن نبغ نحن العرب ذلك المستوى من رصيد الثقة والحرية إلا بإصلاح يشمل

جميع السياسات، التي تقف حاجزاً منيعاً أمام نهضة شاملة، يكون التعليم الجيد مفتاحاً لها¹⁶.

9. الخاتمة

نخلص في نهاية هذا المقال إلى جملة من النتائج أهمها:

- أنّ للبلاغة أهمية كبيرة تتمثل في كونها تعين على فهم معاني القرآن الكريم ومعرفة أسرارها، كما تمكّن مستعمل اللغة العربية من تمييز الكلام الجيد من الرديء، وتمكّنه من اختيار الكلام المناسب لكل موقف، فضلاً عن أنها تتمي لدى الناقد القدرة على نقد النصوص الأدبية، و تساعد الموهوبين على إنتاج أدب راق.

- مرّ تدريس البلاغة بمرحلتين: مرحلة المدرسة القديمة، التي اعتمدت على الجانب النظري في تدريس هذه المادة، بعيداً عن النص الأدبي؛ ممّا أدّى إلى تمزيق أوصالها وتشتت أركانها، والمرحلة الثانية ركزت على تقديم البلاغة كوحدة متكاملة بعلمها الثلاثة المعاني، والبيان، والبديع، وارتبط تدريسها بالنص الأدبي مع مراعاة الجو النفسي، والعاطفة، وكل ما يحيط بهذا النص.

- هناك صعوبات تتعلق بتدريس مادة البلاغة، منها ما يتعلّق بالمعلّم، ومنها ما يتعلّق بالمتعلّم، ومنها ما يتعلّق بالمحتوى وطريقة تقديمه، والوسائل المستخدمة فيه.

- للنجاح في تدريس مادة البلاغة يجب أن نعتمد على مجموعة من الأسس المنهجية، وهي تدريس البلاغة في ظل النصوص الأدبية، و اعتماد النظرة الشمولية لهذه النصوص، والاستفادة من بلاغة العامية في تدريس البلاغة في اللغة الفصيحة، والتدريب البلاغي، وتوثيق الصلة بين البلاغة وبقية علوم اللغة الأخرى، وكذا التنبيه لعلاقة البلاغة بعلم النفس.

- يجب أن يراعي المعلّم عند عرضه لدرس البلاغة الخطوات التالية: التمهيد، والعرض، والربط والموازنة، واستنباط القاعدة، والتطبيق.

-كما يجب على المعلم أن ينفّث على إستراتيجيات التدريس الحديثة، ويطبّقها في قاعة الدرس ومنها إستراتيجية خرائط المفاهيم، وإستراتيجية التفكير الناقد، وإستراتيجية الكاريكاتير، وغيرها من الاستراتيجيات الحديثة.

10.المراجع

- 1- الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، تح السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف.
- 2- أمنة محمود أحمد عايش، صعوبات تعلم البلاغة لدى طلبة قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بغزة وبرنامج مقترح لعلاجها، رسالة ماجستير، إعداد: أمنة محمود أحمد عايش، إشراف: محمد شحادة زقوت، 2003 م، الجامعة الإسلامية غزة، قسم المناهج وطرق التدريس.
- 3- إبراهيم أحمد سيد، برنامج مقترح لتنمية التذوق الأدبي في مرحلة التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1985م، جامعة أسيوط.
- 4- إبراهيم أحمد سيد، مشكلات دراسة وتدريس البلاغة في المرحلة الثانوية، مجلة كلية دمياط العدد 15، 1988م، دمياط المنصورة.
- 5- أبو الفضل جمال الدين بن محمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت.
- 6- أبو علي محمد بركات حمدي، فصول في البلاغة، ط1، 1983، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م.
- 7- أحمد محمد عبد القادر، طرق تعليم اللغة العربية، ط6، 1979، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- 8- الجعلي عبد الفتاح، فصول في تدريس البلاغة والنقد، ط1، 1986م، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي.
- 9- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة.
- 10- الركابي جودت، طرق تدريس اللغة العربية، دمشق، دار الفكر، 1995م.
- 11- المقوسي أحمد، أساليب تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية، غزة ، مطبعة مقداد، 1995م.

- 12- زقوت محمد، المرشد في تدريس اللغة العربية، 1997، غزة، الجامعة الإسلامية ص161، وفن التدريس للتربية اللغوية، سمك محمد صالح 1979، القاهرة، الانجلو مصرية.
- 13- سمك محمد صالح، فن التدريس للتربية اللغوية، 1979، القاهرة، الانجلو مصرية.
- 14- عابد توفيق، الموجه العملي لمدرّس اللغة العربية، الهاشمي، ب ت، مؤسسة الرسالة.
- 15- عامر عز الدين، طرق التدريس الخاصة باللغة العربية في التربية الإسلامية، مراجعة محمد مصطفى الحاج، 1992، طرابلس، جامعة الفاتح.
- 16- عبد الرزاق قيراط، الكاريكاتير درس في البلاغة، العربي الجديد، 10 مايو 2014.
- 17- عبد العال عبد المنعم سيد، طرق تدريس اللغة العربية، ب ت، القاهرة، مكتبة غريب.
- 18- عزعزي أحمد عبده، تقويم منهج البلاغة في المدرسة الثانوية في اليمن رسالة ماجستير غير منشورة ، الخرطوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، 1991،
- 19- عطا إبراهيم محمد، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، 1986م، القاهرة النهضة المصرية .
- 20- عطا الله ميشيل، استراتيجيات الخرائط المفاهيمية، مجلة المعلم الطالب، وكالة الغوث الدولية العدد 1 و2، 2001م.
- 21- منتدى معلمي اللغة العربية، تفعيل استراتيجيات التدريس الحديثة في تدريس البلاغة، شبكة الفصح لعلوم اللغة العربية، 1432/3/27هـ.
- 22- هيفاء نجار، بناء منهجية التفكير التحليلي والتفكير الناقد لدى الطلبة وكيفية معالجة الفروق الفردية، الاثنين 3 أغسطس 2015م.